الحوار السردي وخطاب السلطة
في أدب أبي إسحاق الصابي (ت ٣٨٤هـ)

الباحث: عبد الله سلام منصور
أ.م.د. زينب علي عبيد
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية

Narrative dialogue and discourse of power
In the literature of Abu Ishaq al-Sabi (D 384 AH)

Researcher: Abdullah Salam Mansour
Ass.Prof.Dr.Zainb Ali Obaid
abd.alsafi@yahoo.com

Abstract :

Dialogue is an important component of narrative construction in Arab literature. It is a human linguistic phenomenon and an expressive means that has accompanied man since his existence on earth، through which he can express his ideas and opinions، and highlight his creative abilities and his dialogical and artistic prowess in the literary arena. The Arabs call it debate، and it is an oral conversation that is exchanged Between more than one person، whether it is in a home، school، forum، etc. As for the other form of dialogue، it is the speech printed in a magazine in the form of presenting points of view، comments، or interventions

Keywords: dialogue، power، narration

ملخص :

يشكل الحوار عنصراً مهماً من عناصر البناء السردي في الآداب العربية فهو ظاهرة انسانية لغوية ووسيلة تعبيرية رافقت الانسان منذ وجوده على وجه الارض يستطيع من خلالها التعبير عن أفكاره وآرائه، وإبراز قدراته الابداعية وبراعته الحوارية والفنية في الساحة الادبية، وتسميه العرب المناظرة وهو حديث شفهي يجري تبادله بين أكثر من شخص سواء أكان في بيت أم مدرسة أم منتدى الخ، اما الصورة الأُخرى للحوار هي الكلام المطبوع في مجلة على شكل عرض وجهات نظر او تعقيبات او مداخلات [١]

الكلمات المفتاحية : الحوار، السلطة، السرد

١ ينظر : اخلاقيات الحوار : الدكتور عبد القادر الشيخلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، ط١ ١٩٩٣ م : ١٢.

مقدمة:

لقد تناولت اللسانيات الحديثة مصطلح الحوار من وجهة نظر لسانية فقد اختلف اللسانيين في اعطاء تعريف محدد، فهناك التعريف السهل في معناه غير المعقد كما فعلت ماري انيك عندما قالت " التحاور هو تجاذب اطراف الحديث " وهناك من قدمه بفهم اعمق حينما قال " المحاورة او المداولة على القضية هي النظر فيها وتقديم وجهة النظر حولها من قبل جماعة تتحاور بالفعل في شأنها من اجل تحقيق اتفاق عميق عليها " [١] والاتفاق العميق هنا يستوجب ان يكون هناك اقناع وحجاج وطرائق مختلفة من اجل تحقيق مراتب متقدمة في فهم ما تم التحاور من اجله. فالحوار يتضمن من الناحية العلمية تفاعلاً تواصلياً يحتضن خصائص تواصلية وخصائص تداولية. [٢] وهنا تكمن اهميته في كونه مقاماً تواصلياً ركز علم اللسانيات الحديث عليه. مما يصل بنا الى نتيجة تفيد في أنَّ الخصائص التداولية التي تميز التفاعل التواصلي تجعل من القائلين لا يقفون عند القصد الاخباري للأقوال بل يتعدون الى معانٍ سياقية تداولية تحكم العلاقة بين اطراف الخطاب فالسياق يؤدي دوراً مهماً في تمكين المحلل من تقطيع الوحدات الحوارية الكبرى. [٣]

امّا معنى السلطة فيرتبط بمعانٍ عدَّ منها الشرعية والدينية وجمع السلطة سلطات، وهي الاجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية، والسلطات التربوية، والسلطات الدينية، والسلطات القضائية، وغيرها. وتعني في اللغة القدرة والقوة على الشيء، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره [٤]، وتأتي بمعنى القدرة على تحقيق ما هو مرغوب فيه سواء وجدت مقاومة او لا. وقد يتم تحصيلها بطرائق مختلفة منها : المشاورة، والتفويض والمشاركة بصورة محدودة وقد تقوم على القبول والموافقة او على القسر، وتعني السلطة في اللغة العربية (السلطان) ويعني السلطة والحكم. وعلى الرغم من تعدد تعريفات السلطة الا انها تضل محل خلاف وجدل محتدم اذ انها لا تقدم تصوراً او اجابة محددة عن السؤال الاساسي المرتبط بطبيعة السلطة : اهي جوهر ام علاقة [٥].

أما ما نعنيه بخطاب السلطة، ذلك الخطاب الذي يجسد حضور السلطة (المطلقة) بوصفها مزيجاً مركباً من السّلطات الثلاثة (التلاؤميَّة، والقسرية، والتعويضية)[٦]. لذلك نستطيع القول ان خطاب السلطة هو الخطاب نفسه الذي وصل الينا عن طريق النصوص الادبية في صيغتها المدحية والتي تجسد التبعية للممدوح وخضوع المخاطِب للمخاطَب. فهو خطاباً موجهاً توجيهاً مباشراً من مخاطِب بعينه (هو شاعر السلطة) إلى مخاطَب بعينه (هو رمز السلطة بوصفه : الممدوح + والممدوح لأجله) في سياق بعينه (هو سياق الدفاع عن الممدوح / الرّمز، او الهجوم على خصومه) لتحقيق الغاية بعينها [٧]. وغالباً ما نجد هذا الخطاب في كتابات ممن ينتمي الى السلطة ويتلاشى

---

١ ينظر : الحوار في شعر محمد حسن فقي دراسة تداولية، محمد بن عبدالله المشهوري، جامعة الملك سعود، ٢٠١٣ م : ٩.

٢ الحوار وخصائص التفاعل التواصلي (دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية) د. محمد نظيف، افريقيا الشرق – المغرب، ٢٠١٠م : ٧.

٣ ينظر : المصدر السابق : ٨

٤ ينظر : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت : ج٢ / ٦٧٠.

٥ ينظر : خطابات السلطة من هوبز الى فوكو، تأليف : باري هندس، تر : ميرفت ياقوت، مراجعة وتقديم : ياسر قنصوه، المشروع القومي للترجمة إشراف جابر عصفور، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط١ ٢٠٠٥ م : ١٤.

٦ خطاب السلطة والخطاب المضاد، د. عبد الواسع الحميري، الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٤ : ص ٩.

٧ المصدر السابق : ١٠.

ويختفي بمجرد اختفاء السلطة وهيمنت قوى جديدة على ساحة التخاطب [١]. ونجد في ادب الصابي الكثير من الرسائل الديوانية والاخوانية التي يتجسد فيها خطاب السلطة من خلال المراسلات الرسمية التي كان الصابي يؤمر بكتابتها وارسالها، وستكشف الدراسة في محاورها اللاحقة عن الدور الذي كان يقوم به الصابي في رسائله الديوانية والاخوانية وابياته المدحية من اجل الدفاع عن السلطة وتلميع صورة الممدوح من خلال علاقة خطاب السلطة بين الممدوح وبين المتعالي جل وعلا. وهذه العلاقة يمكن رؤيتها على اصعدة مختلفة في ادب ابي اسحاق الصابي من خلال تقسيم خطاب السلطة الى ما يأتي :

١- خطاب السلطة الدينية

٢- خطاب السلطة السياسية

١- خطاب السلطة الدينية

تتمثل السلطة الدينية بالوحي الذي انزله الله على أوليائه، ولسنن الرسل، وقرارات المجامع المقدّسة، واجتهادات الأئمة عليهم السلام[٢]. ويكمن جوهر السلطة في تأثيرها في الغير، وتعني ان يدَّعي انسان ما لنفسه صفة الحديث باسم الله وحق الانفراد بمعرفة رأي السماء وتفسيره.. سواء كان الادعاء من قبل فرد يتولى منصباً دينياً ام منصباً سياسياً [٣]. ويتمظهر خطاب السلطة الدينية في أدب ابي إسحاق من خلال رسالة كتبها عن نفسه، إلى الملك عضد الدولة وتاج المله جواباً عن كتابه بقتل بختيار بن معز الدولة، وانهزام ابي تغلب بن حمدان، والظفر بجماعة من القوّاد بالجانب الغربي بقصر الجص، المحاذي " لسر من رأى" وذلك في سنة ٣٦٧ هـ قال فيها :

((كتابي اطال الله بقاء مولانا الملك السَّيد الأجل المنصور وليّ النعم وعضد الدولة وتاج الملّة والامور التي يراعيها، جارية افضل مجاريها بظلّه الممدود عليها، ونظره الشامل لها، وعدله المحيط بها، وسياسة الاستاذ، أدام الله عزّه، التي حذا فيها مثاله، وتقيل خلاله والخاصة والعامّة من عبيد مولانا، أطال الله بقاءه، ساكنون في حماه، مطمئنون في ذراه، قارّون بفنائه، رائعون في كلائه، داعون إلى الله بما هو سبحانه يسمع مرفوعه، ويجيب مسموعه. والحمد لله حمداً عائداً بمغابط الأولياء ومغابط الأعداء والمزيد من مترادف العطاء ومضاعف الخباء، ووصل كتاب مولانا الملك السِّيد وليّ النعم عضد الدولة وتاج الملّة، أدام الله علو امره وعزّ نصره، في معسكره بظاهر الموصل، مبشّراً بالفتح الذي أملأت له آفاق السماء نوراً وارجاء الارض سروراً، فتلقيته ساعياً على قدمي وقبّلته بكلتا يدي، وسجدت شكراً لله على مستودعه، ولمولانا كبت الله أعداءه، على تأهيلي للمطالعة به، وتصرّفت في تأمل معناه الجزل ومنطقه الفصل تصرّف المعجب به لا المتعجب منه. واقول في ذلك ما قاله ارسطو طاليس للإسكندر في مفتتح بعض رسائله إليه، أمّا التعجّب من مناقبك فقد اسقطه تواترها، فصارت كالشيء المألوف قد انس به لا كالغريب يتعجب منه...)) [٤]

في النص نلحظ ان الشاعر في خطابه للسلطة يحاول ربط الممدوح بالدين الاسلامي على اعتبار أن الدين في التصور الاسلامي هو النظام والمنهج الذي ينظم الحياة البشرية وعلاقات البشر في اطاره، وعلى هذا الاساس

---

١ ينظر : نفسة : ١٠ – ١١.

٢ ينظر : المعجم الفلسفي : مصدر سابق : ص ٦٧٠.

٣ ينظر : السلطة الدينية، د. برهان زريق، بموافقة وزارة الاعلام السورية، ط١ : ٢٠١٦ م : ١٧-١٨.

٤ المختار من رسائل ابي اسحاق : مصدر سابق : ٦٤ – ٦٦.

تكون علاقات البشر على اساس التزامهم المطلق به في حياتهم [١]، فالرسالة جاءت رداً وجواباً على كتاب عضد الدولة بعد قتل بختيار وانهزام ابي تغلب بن حمدان والظفر بجماعة من القوّاد افتتحها الصابي بالدعاء الذي استخدم فيه الفاظاً عبر من خلالها عن مدحه وتهنئته لعضد الدولة وهذا ما لمسناه في اغلب رسائله، ثم حمد الله واثنى عليه مبشراً عضد الدولة بوصول كتابه مهنئاً بالفتح الذي املأت له افاق السماء نوراً والارض سروراً واصفاً مشاعره واحاسيسه بألفاظ عبر من خلالها عن مشاركته عضد الدولة النصر الذي تحقق. فمن خلال ذلك استطاع الصابي من ابراز السلطة الدينية لممدوحه عن طريق ربطه بعلاقات وصفات دينية ووقائع اسلامية توحي للقارئ بارتباط الشخصية بالمتعالي (جل وعلا) وحضرة النبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) والائمة (عليهم السلام) مما يساعد في ابراز السلطة الدينية داخل النص السردي.

ونلحظ في ذلك أنَّ الصابي قدم الدعاء والمدح والتهاني وجعله منصباً لعضد الدولة قبل ان يحمد الله ويثني عليه ونجد ذلك يسير في رسائله، ويبدوا انه اراد من خلال ذلك اعطاء الاولوية لممدوحه في الحديث والمحاورة لاستمالة مشاعره وعطفه وجذبه للنص. فضلاً عن ذلك نجد سمة الوضوح بارزة في النص وهذا ما لاحظناه في نثر الصابي وخاصة الرسائل الديوانية وهذا ما علّله الصابي في مواضع سبق الحديث عنها، فسمة الوضوح تعطي الشاعر مساحة كافية للتفصيل والتوضيح وهذا ما تتطلب اليه الرسائل الديوانية لإيضاح هدف الترسل، كذلك مقولة ارسطو طاليس التي ضمنها الشاعر نصه فقد كان لها الدور الاهم في اعطاء النص الثبات والايضاح وابراز لقدرة الاديب المعرفية وسعة ثقافته بل ان له في دقة الانتقاء والاختيار والاستخدام مزية تُذكر. اذ انه يفك المثل ويستخدمه استخداماً يتناسب مع صيغة كتابته، فضلاً عن ذلك ما اختصره التضمين من مشاعر واحاسيس كان الصابي يريد ايصالها الى عضد الدولة. فمن خلال ما سبق نجد انَّ الشاعر قدم من بواسطة نصه السردي حواراً خارجياً بينه وبين عضد الدولة متمثلاً بالإجابة على نص رسالة ارسلها عضد الدولة الى الصابي اراد بها المدح والتهنئة لعضد الدولة لإبراز سلطة الممدوح الدينية داخل النص السردي من خلال ربطه بعلاقات دينية. مما ساعد في تعدد الاصوات داخل النص السردي. كذلك يتجسد خطاب السلطة الدينية في ادب الصابي في ما كتبه الى الوزير ابي نصر سابور ابن اردشير جواباً عن كتاب إليه يحاوره فيه شاكراً ومادحاً فضله قال فيه :

أتتني على بعد المدى منك نعمة تشاكل ما قدمت من نعم عندي
كتابك مطوياً على كل منةٍ يمنّ بها المولى الكريم على العبد
فقبّلتُ إجلالاً له الأرض ساجد وعفّرت، قدام الرسول به خدي
وقابلت ما فيه من الطول والندى بما في من شكر عليه ومن حمد
وعاليت نحو العرش طرفي باسطاً يدي بدعاء قد بذلت به جهدي
وكم لك عندي من يد قد حفظتها ولم ينسنيها ما تطاول من عهد [٢]

نتلمس في طيات النص أنَّ السلطة الدينية للممدوح تجسدت من خلال تأسيس علاقة بينه وبين المتعالي جل وعلا فنجد انَّ سلطة الممدوح حلت محل المتعالي وقامت مقامه وعبر الشاعر بذلك من خلال الفاظ (النعمة، التقبيل، السجود، التعفير) التي جسدت علاقة الحلول والتجلي في النص والذي استطاع من خلالها الصابي تصوير حجم العلاقة بين الطرفين، فالصابي جسَّم من خلال النص العلاقة بين شعر الذات المادحة والسلطة المشار اليها بالمدح

١ ينظر : خطاب السلطة والخطاب المضاد : مصدر سابق : ٥٥.
٢ ابو اسحاق الصابي درر النثر وغرر الشعر : مصدر سابق : ٣٧٧.

من خلال ما قدمهُ من وصف ومدح وانقياد وتذلل ففي قوله (فقبّلتُ إجلالاً له الأرض ساجــداً) دلالة واضحة في تجسيد قوة العلاقة وتعظيمها، فمن خلال الألفاظ التي استخدمها الصابي نجد ان العلاقة اصبحت اكثر بروزاً ووضوحاً للمتلقي، فالشاعر ومن خلال اسلوب الحوار الخارجي وما فيه من تقنيات فصلاً عن استخدامه التقنيات السردية الاخرى كالاسترجاع الزمني والوقفة الوصفية التي عبر من خلالها بأسلوب واضح وموضوعية ان يعطي لخطابه السلطوي بروزاً في ذهن المتلقي واعلاءً لسلطة الممدوح في النص.

كذلك نجد خطاب السلطة في ادب الصابي متجسداً في تهنئة لعضد الدولة وقد بنى مطلع القصيدة فيها على كلمات من سورة الكوثر يقول فيها :

صَلِّ يا ذا العلا لربك وانحَــــــرُ كلُّ ضِد وشانئ لك ابـــترْ
أنت اعلى من ان تكون اضاحـــي ك قُروماً من الجمال تُعقّـرَ
بل قُروماً من الملوك ذوي الســؤ ددِ تيجانها امامك تُنـــــثر
كلما خَرَّ ساجـــــــداً لك رأسٌ مِنهم قال سيفك : اللهُ اكبر [١]

يبرز رمز السلطة الدينية في النص من خلال علاقة الحلول والتجلي التي تجسدت بين الممدوح والحضرة المحمدية بوساطة تضمين النص الادبي خطاباً سماوياً موجهاً في الاصل للنبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) مما اعطى للممدوح سلطة عليا اذ ان الخطاب السماوي يعد اعلى درجات الخطاب، فالممدوح الرمز من خلال اتصافه بصفات النبوة اخذ الموروث القرآني الذي نزل بحق مقام النبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) واتصف به، فالصابي نزَّل ممدوحه منزلة النبوة والتي تعد الباعث الرئيسي لتذلل افراد الجماعة له حيث ان رمز السلطة المهيمن في الخطاب يفوق طاقة الجماعة الحاضرين في حضرته. كذلك نجد ان الشاعر عمد الى استعمال اسلوب النداء في افتتاح النص طلباً للدعاء والاستغاثة فاستعمال الاداة (يا) لا يدل على نداء البعيد انما الغرض منه الاستغاثة وذلك مما يصدر ممن هو ادنى مرتبة بطبيعة الحال [٢] أما فيما يخص البيت الثاني في قوله : أنت اعلى من ان تكون اضاحيك قُروماً من الجمال تُعقّـرَ فقد كانت العرب تضحي برؤوس الكفار، وقد فعلها خالد القسري لما ضحى بالجعد بن درهم، فقال : ايها الناس : ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، فأنه زعم ان الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ ابراهيم خليلاً. [٣] فالشاعر من خلال الاسلوب السلس والالفاظ الواضحة فضلاً عن استخدامه لأسلوب الامر في افتتاح السرد استطاع من اثارة المتلقي وكسب النص ايقاعاً كما انه استطاع توجيه خطابه بشكل مباشر للمخاطب.

وقد ورد خطاب السلطة في ادب الصابي في كثير من المواضع منها قوله في مدح الوزير ابو قاسم عبد العزيز بن يوسف :

أبو قاسم عبد العزيز بن يوسف عليه من العلياء عينٌ تراقبه
روى ورعى لما روى قول قائل (وشبع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه) [٤]

---

١ درر النثر وغرر الشعر : ٣٩٩.

٢ ينظر : الغديريات في الشعر العربي، د. حربي نعيم محمد الشبلي، الناشر العتبة العلوية المقدسة، العراق، النجف الاشرف : ١٥٤.

٣ ينظر : منتدى التخريج ودراسة الاسانيد : ارشيف ملتقى اهل الحديث، موقع الكتروني :١.

٤ درر النثر وغرر الشعر : ٣٧٧.

نلحظ ان الصابي افتتح سرده مصرحاً باسم الشخصية مما جعل منها المحور الذي يرتكز عليه سرده، ويبدو من خلال التعبير ان هناك علاقة ود ومحبة بينه وبين الوزير عبد العزيز فقد كان من اعلام الكتُاب في زمانه، وتسنم منصب ادارة ديوان الرسائل، وكان لهذا الارتباط الادبي الدور البارز في تقوية اواصر العلاقة بينهما. وبعد ان عرض الصابي اسم الشخصية نجده يحاول اضفاء طابع التميز والاختلاف والرعاية الالهية لممدوحه من خلال قوله: (عليه من العلياء عينٌ تراقبه) فيبرز من خلال ذلك رمز السلطة الدينية بوساطة الرعاية الالهية للممدوح المتمثلة بالذات الالهية. ونجد ان الصابي في كثير من رسائله الديوانية وابياته المدحيه مركزاً على جانب السلطة الدينية لما للدين الاسلامي وتعاليمه من دور مهم في السيطرة على الفرد والمجتمع في العصر العباسي. كذلك يتجلى خطاب السلطة الدينية في ادب ابي اسحاق الصابي في بيتين يصف فيهما بعض الوزراء مادحاً يقول فيهما :

انت الوزير الذي الدنيا تناط به واهلها تبعٌ من دونه خـــولُ
تظلّ بالعز ملء الارض اجمعِها كأنك النَّصلُ والدنيا لك الحلل [١]

في البيتين عبر الشاعر من خلال توجيه خطابه للوزير بأسلوب الحوار عن السلطة المتعالية التي يتمتع بها الممدوح منزلهُ منزلة الغائب، وربما الصابي قال البيتين لما يكنه للوزير المهلبي من مكانة ومنزلة يعرفه بها، كان يسعى من خلالها الى تأسيس علاقة بين الممدوح وبين المتعالي جل وعلا الغائب، منزلاً بذلك الممدوح منزلة المتعالي من خلال وصفه بأوصاف يتصف بها الباري جل وعلا وخاصة قوله : (تظلّ بالعز ملء الارض اجمعِها) اذ ان المسير والمتحكم بهذه الارض والكون بأجمعه مما لا شك فيه هو الباري جل وعلا وما عداه هو منتحلاً لصفاته. وبواسطة اداة التشبيه شبه ممدوحه بالنصل اي السكين او الرمح التي تحل بها عقد الامة على الرغم من ان التشبيه بالأداة (كأنّ) يراد بها عدم اليقين والظن الا انه تشبيه يراد به رفع منزلة الممدوح. بذلك نجد ان الشاعر استطاع ان يبتعد عن الطريقة التقليدية في تقديم الأحداث السردية والتي كانت تعتمد على الجوانب التقريرية والوصفية، لأنَّ القصة لا تتحدد فقط بمضمونها ولكن أيضاً بالشكل والطريقة التي تقدم ذلك المضمون [٢]، فالحوار يكوّن الحبكة القصصية داخل النص السردي من خلال التتابع في تقديم الاحداث مما يجعل من المتلقي شخصية اكثر تفاعلاً وتشوقاً الى قراءة النص.

وفي خطاب سلطوي اخر نجد الصابي ينفذ بقصيدته اللامية بالتهنئة عن مقدم عضد الدولة من الزيارة بالكوفة في مشهد الامام علي بن ابي طالب قال : وسمعت ابا الريان حامد بن محمد الوزير يقول لجدي وهما في مجلس انس وانا حاضر معهما، كان عبد العزيز بن يوسف غير حاضر فيه، فقرأها ثم رفع رأسه اليَّ والى ابي عبدالله بن سعدان، وكنت آمنه عليك واعلمُ انَّ اعتقاده يوافق اعتقادي فيك، فقال لنا : قد طال حبس هذا المسكين ومحنته، فقبّلت انا وهو الارض عند ذلك، فقال لنا كأنكما تؤثران اطلاقه، قلنا انَّ من اعظم حقوقه علينا وذرائعه عندنا أنْ عرفناه في خدمتك وخالطناه في ايامك، قال : فإذا كان هذا رأيكما فيه فأنفذا وافرجا عنه، وتقدَّما اليه عنا بملازمة منزله الى ان يرسم له ما يليق بمثله [٣] يقول فيها :

أهلاً بأشرف أوبة وأجلّهـــــا لأجل ذي قدمٍ يلاذ بنعلِهـــــا
فرشتْ لك الترب التي باشرتهـــا بشفاهها من كهلها أو طفلـــها

---

١ يتيمة الدهر : ج٢ / ٣٢٦ – ٣٢٥.

٢ بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، د. حميد الحميداني : ٤٦.

٣ ينظر : معجم الادباء ارشاد الاريب في معرفة الاديب، ياقوت الحموي، مصدر سابق : ج١ / ١٤٠.

لم تخطُ فيها خطوةٌ الا وقـــــد وضعت لرجلك قبلة من قبلهـــا
وإذا تذللّت الرقاب تقرُّبـــــاً منها اليك فعزها في ذلهـــــا [١]

واضح من خلال النص ان الشاعر استمطر كل امكانياته الادبية ليضعها ابياتاً شعرية بين يدي الامير عضد الدولة ذلك ان الصابي وجد في مدح عضد الدولة ومحاورته السبيل الوحيد الذي يخلصه من السجن، فسلطة الممدوح الدينية في النص تبرز من خلال الالفاظ والصفات التي وصفها به الصابي والمنزلة التي وضعه بها فالشاعر وبواسطة ابياته جعل المتلقي يشعر بسلطة الممدوح داخل النص لما الصقه به من صفات وكرامات لا يتمتع بها الا الاولياء والرسل. ويرى الصابي ان الشعر نص مقيد في اطر زمانية مكانية مهندسة، هي حدود البيت الشعري، التي لا يجوز للشاعر ان يجاوزها، وعليه ان يسعى ضمن هذه الاطر الى نقل المعنى في صورة لغوية مكتملة تركيباً ودلالة وإلا وقع في التضمين الذي عُدَّ عيباً عند اكثر النقاد، وهذا يعني انه سيثقل اللغة بالمعنى مجاوزاً بذلك وظيفتها التي تهدف في الاهتمام بالمدلول المحدد المشترك صورته بين المرسل والمتلقي [٢]. فنجد انَّ الالفاظ والعبارات كانت على مستوى عالٍ من البلاغة والمغالاة والمبالغة في المدح بخلاف ما يكمنه الصابي لعضد الدولة من مشاعر تتقاطع مع ما كتبه فقد وضع لممدوحه منزلة من منازل الاولياء والصالحين. وهذا ما يعضد المقولة التي قيلت في الصابي انه كان يكتب كما يؤمر فهنا دلالة واضحة على امكانية الصابي في قول الشعر بعيداً عن المشاعر والاحاسيس فقول الشعر عنده صنعة يصطنعها ومهنة يمتهنها وهذا ما نجده في كثير من الرسائل الديوانية والذي كان يكتبها كما يؤمر وكما يملى عليه من قبل الامراء والملوك والوزراء. كذلك نجد الخطاب السياسي في ادب الصابي في خطبة عن الطائع لله، بتلقيب عصمة الدولة، ابي دلف سهلان بن مسافر [٣] يصف فيها التفاف الخليفة الطائع لله حول تعاليم الدين الاسلامي لما للدين الاسلامي من تأثير في استمالة اذهان المجتمع في العصر العباسي يقول فيها :

((أمّا بعد، فإنَّ أمير المؤمنين يعتمد إسداء النعم، حيث تُستدام وتُرتبط، ويُجتنب إيداعها حيث تُكفّر وتُغمط، ويتخيّر لها أطيب المغارس وأزكاها، وأولاها بأن يحلولى وأحراها، وإذا لاحت له من ناشئ في دولته لوائح النجابة، وظهرت فيه ادلّة اللبابة، ووجده سالكاً منهاج الطاعة، وداخلاً فيها مع الجماعة، ومتسربلاً سرابيل الولاية، ومتحلّياً بحلى الغناء والكفاية، رفعة عن الوقوف عند رتب المتوسّطين، وجذب بضبعه [٤] الى غايات السابقين المتقدّمين، ولا سيّما إذا كانت له مع هذه الفضائل، مواتّ [٥] من ذرائع أُخَر ووسائل، وإنَّ اجتماع هذه المجتمعات لمن يجتمعن له، تمنع من ترجيح النيَّة في اصطناعه واختصاصه، وتبعث على إمضاء العزيمة في اصطفائه واستخلاصه، وأمير المؤمنين يسأل الله ان يوفّقه من السعي لأحمدهِ وأرشده ومن الرأي لأحصفه وأسدِّ ويوليه في الذي يُبرم من ذلك ويقدم ويوخّر، ويأتي ويذر، أفضل ما عوَّد خلفاءه في بلاده وامناءه على عباده، وما توفيق امير المؤمنين، الا بالله عليه يتوكل واليه يُنيب)) [٦]

---

١ يتيمة الدهر : ٢ /٣٢٥.

٢ ينظر : رسالة ابي اسحاق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر : ١٣٩

٣ عضد الدولة

٤ الصبع : وسط العضد، وقيل العضد كلّه، حتّى الابط، واخذ بضبعه : أي أعانه وقواه.

٥ مواتّ : تقول : متَّ اليه بقرابه : وصل اليه، واشار الصابي هنا الى الماتّة وهي مفرد مواتّ والتي هي القرابة، وكذلك الوسيلة.

٦ المختار من رسائل ابي اسحاق : مصدر سابق : ١٤٣.

نلحظ من خلال النص ان الشاعر ينفذ بخطابه عن الطائع لله الى تأسيس سلطة للممدوح، بواسطة تأسيس علاقة بين الممدوح وبينه جل وعلا، ليحل رمز السلطة محله جل وعلا موسوماً بسماته متصفاً بصفاته فيبدو بذلك الرمز فوق طاقة الجماعة. فالصابي يصور بألفاظه البسيطة ارتباط الممدوح بالحضرة الالهية والدين الاسلامي من خلال تضرعه وتوسله بهذا المقام المتعالي من خلال قوله : (وأمير المؤمنين يسأل الله ان يوفّقه من السعي لأحمدهِ وأرشده ومن الرأي لأحصفه وأسداً) مما يعطي انطباعاً واضحاً على هيمنة الدين الاسلامي على قلوب افراد المجتمع مما جعل السلطة الحاكمة تتمثل به ذلك لأنه المهيمن الرئيس في اكتساب السلطة الدينية والتي تستطيع من خلاله ادارة شؤون الرعية لان المجتمع اصبح مجتمعاً اسلامياً. فضلاً على ذلك ان السلطة الحاكمة بعيدة كل البعد عن الدين الاسلامي وتعاليمه وانها سلطة غير شرعية الا انها تحاول اضمار ذلك من خلال تمثلها بالدين الاسلامي وتقريب بعض الشخصيات الدينية لإيصال رسالة وهمية في الاستمرار في تطبيق التعاليم الاسلامية والاتكال على الله في ادارة الدولة مما يعطي بروزاً للسلطة الدينية في النص السردي.

٢ – خطاب السلطة السياسية :

ويكون على هيئة خطاباً مدحياً يوجه للسلطة الحاكمة يبرز الكاتب من خلاله سلطة الممدوح من خلال العلاقة التي يرتبط بها الممدوح، يهدف الى اقناع المتلقي. وقد يأخذ حوار السلطة اشكالاً مختلفة فقد يكون حقيقياً او قد يكون متضمناً هجاءً مبطناً في داخله. ويتمظهر الخطاب السياسي في ادب الصابي في مواضع عديدة منها قوله يمتدح احد الوزراء في باب كتاباته في الشفاعة يطلب من خلالها اعادة داره اليه وهي ملك له، قال فيها :

هل المجد إلا خِلةٌ من خِلالكـــا أو الجودُ إلا قبضَةٌ من نوالِكـــا
وهل يصلحُ الصدرُ المعظم لإمرئٍ سواك وهل يبهى بغير جَلالكـــا
وهل احدٌ من سائر الناس ســالمٌ من الدهرِ إلا من نوى في ظلالِكا
ألم تراني نِلت قاصيَةَ المُنــى بيُمناي لما أمسكتُ بحبالكـــــــا
وانَّ المنايا والرزايا بعثننـــي بأمرك حياً بعد ما كنتُ هالكـــــا
تناولتني مِنهن حيثُ تقاصـرتْ يدُ المتعاطي عن بلوغِ منالِـــكا
وأقررت نفسي بعد وشكِ زيالها فلا ابتُليتُ ما عمرت بزيالكـــا
وإني وإن هاض الزمان قوادمـي لأعلم حقاً أنني من رجالِكـــا
وأني لم اخلص نجياً من الــرَّدى لشيءٍ سوى ان تغتدي لي مالِكـا
ولا صفرت كفاي إلا تطهــراً من النشب المجموع من غيرِ مالكا
ولي فيك آمال كأني لابــس شبا باً بها من بعدِ شيبي حالكـــــا
وقد بدأتني منك آلاءُ منعمٍ ومـا كُنَّ بدعاً من جميل فِعالكـــا
ويوشكُ ان تتلو البوادي عوائـدٌ كواملُ تحكي ما لدي من جَكالكـا
ضوامن ان احلو لديك محلـــةٌ تكونُ بها حالي رديفةُ حالكـــا
فأن لم اكن أهلاً لها فمعيشـــةٌ موسعةٌ نزدادها من جلالكـــا
وعودةُ داري إنها لك موطــنٌ انا وعيالي فيه بعض عيالكـــا
فقد نالنا عنها شتاتٌ مبــــرحٌ وكانت لنا حُصناً يقينا المهالكـــا
نحِنُ اليها حنّة النيب كُلّمـــا مررنا عليها سالكين المسالكـــا
وللشاعر الرومي فيها مقالـــةٌ كفتني ان أخطرتها لي ببالكـــا

وحبْب اوطان الرجال إليهـــمُ مآربُ قضّاها الشباب هنالكـــا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهـــم عُهودَ الصبي فيها فحنّوا لذلكـا
فلا تُرجعنّي إذ سألتُك خائبـــاً فما خاب قبلي سائلٌ في سؤالكا
وما هي إلا لفظةٌ منكَ لم تكـــن ليعدل فيها عادلٌ عن مثالكـــا [١]

لقد استطاع الشاعر ومن خلال استخدامه لأسلوب الحوار ممتزجاً بأسلوب الاستفهام والذي يبدو فيه شيئاً من الحجاج ان يجسد معنى العلاقة بين الممدوح وما قرن به من صفات يتصف بها، فمن خلال هذه العلاقة تبرز سلطة الممدوح داخل النص من خلال اتصافه بالقدرة والسيطرة على زمام الامور والتفرد في الصفات والخصائص التي يمتلكها. فالشاعر اتخذ من اسلوب الاستفهام وسيلة يصل من خلالها للغاية التي يرجو الوصول اليها من خلال طرح اسئلة استفهامية موجهه للشخصية والاجابة عليها بإيجاز، فالمشهد الحواري القائم على الاستفهام يقوم بمهمة الكشف عن الجانب الخفي من خلال طرح التساؤلات، فصوت الشاعر نجده بارزاً في النص من خلال طرح الاسئلة والاجابة عليها في الوقت ذاته، حيث أنّ الطريقة الامثل لوصول الشاعر الى غايته هو الاستفهام فمن خلاله يتم طرح جمل استفهامية محاطة بقرائن تجعل المخاطب يدرك المعنى بنفسه، سواء عبّر عنه بالجواب او لم يُعبِّر [٢]. فالشاعر جعل من الاستفهام وسيلة لبناء النص بما يقتضيه الاستفهام من اجوبة وايضاح من الشاعر نفسه استطاع من خلالها جعل المتلقي متشوقاً في قراءه النص الادبي كون البنية الشعرية في الحوار تتضمن اكثر من معنى. فالشاعر عمد الى اسلوب الاستفهام في التعبير واظهار مشاعره الكامنة وعواطفه كونه اسلوب يتميز بروح حوارية ترتفع معه النغمة الصوتية المعبرة عن النشاط الانفعالي والنفسي [٣]. فضلاً على ذلك ان الشاعر ومن خلال النص نقل لنا صورة واضحة عن الظلم الذي كانت تمارسه السلطة من خلال تودده لهم والتماسه في اعاده داره له الذي هو ملكٌ له، فأستطاع من خلال المديح ان يعرض المظلومية التي تعرض لها، فإذا كان الصابي وهو الشخصية المقربة من السلطة وتعرض الى ما تعرض له من سجن واغتصاب لداره فكيف بعامة الناس. ومن خلال ما ذكر نصل الى نتيجة مفادها ان الصابي استطاع من ايصال رسالة ضمنية يعبر فيها عن ضعف ووهن الدولة العباسية في ذلك العهد وتعديها على حقوق رعاياها وظلمهم. ومن الوزراء الذين مدحهم الصابي، الصاحب بن عباد. وهو فوق كونه وزير الدولة البويهية في خراسان فقد كانت تربطه مع الصابي علاقة ود وصداقة حميمة فقد كان شاعراً وكاتباً بليغاً كتب له الصابي العديد من الرسائل والقصائد فيها من الاستعطاف بحكم ما مر به الصابي بعد نكبته نذكر مما ارسله اليه من ابيات مرفقة مع رسالة قال فيها :

لما وضعت صحيفتـــي في بطن كف رسولها
قبلتها لتمسهـــا يمناك عند وصولهـا
وتود عيني أنهـــا قرنت ببعض فصولها
حتى ترى في وجهـــك الـ ميمون غاية سؤلهـا [٤]

---

١ درر النثر وغرر الشعر : ٣٧٨ – ٣٧٩.
٢ ينظر: الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، ايمن أمين عبد الغني، دار التوفيقه للتراث، القاهرة، طبعة جديدة: ٢٤٢.
٣ ينظر : الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، الدكتورة ابتسام احمد حمدان، مراجعة وتدقيق احمد عبدالله فرهود، دار القلم العربي، سورية – حلب، ط١، ١٩٩٧م : ٢١٨.
٤ درر الشعر وغرر النثر : مرجع سابق : ٣٧٨.

نلحظ من خلال النص ان الصابي شرع بإقامة حوارٍ خارجي مع الصاحب، ونجد انَّ علاقة الممدوح بالذات المادحة تبدو واضحة في بنية النص، فضلاً على العلاقة التي تربط الصابي بالصاحب والتي عبر عنها الشاعر بعواطف بدت صادقة في نظر القارئ، بيد ان هناك علاقة اخرى يبدو الممدوح من خلالها بوصفه اداة فاعلة في ارضه، وتتضح العلاقة بصورة اكثر وضوحاً من خلال ما استعمله الشاعر من الفاظ وعبارات تكشف عن مكنون العلاقة مثل قوله : (حتى ترى في وجهك الـ ميمون غاية سؤلها) فمن خلال هذه العلاقة تتضح سلطة الممدوح في النص من خلال ما يتمتع به من نفوذ ورفعة في الدولة. ويتضح مما سبق انَّ للأسلوب واللغة الحوارية الدور البارز في ابراز بنية حوارية ممتعة بين الشاعر والممدوح استطاع الشاعر من خلالها ان يكشف للمتلقي سلطة الممدوح في داخل النص السردي. وفي موضع اخر نجد في قصيدة للصابي يصف فيها تعلقه بالوزير المهلبي قال فيها :

وتعلقت بالرئيس الذي صـــــرت رئيسا مذ عدني في العبـيـد
والوزير الذي غدا وزراء المـــلك ركنا لعزه الموطـــــــود
اريحي مهلبي سعيد الـــــــجد صافي الجدوى كريم الجدود
وإذا استنطق الانامل جـــــادت ببيان كالجوهر المنضـــود
في سطور كأنما نشرت يمنتـــــاه منها عصائبا من بـــــرود
فقر لم يزل فقيرا إليهـــــــــا كل مبدي بلاغة ومعـــــيد
يغتدي البارع المفيد لديهـــــا لاحقا بالمقصد المستفـــيد
ببيان شاف ولفظ مصـــــــيب واختصار كاف ومعنى سديد [١]

تبرز السلطة السياسية في النص من خلال العلاقة التي يقيمها الممدوح مع الرعية اذ ان الشاعر يصف للمتلقي ما يتمتع به الممدوح من كرم وسجايا وشجاعة جعلت من وزراء الملك ركناً لعزه الموطود، ومن الملاحظ ان الشاعر كرر اسم الشخصية في اكثر من موضع فتارة يصفه بالوزير واخرى بالرئيس وفي موضع اخر يصرح بالاسم بصورة مباشرة بقوله (اريحي مهلبي) فضلاً على الاشارة اليه من خلال الضمائر، يُريد بذلك الصابي الاشارة الى الشخصية والتنويه والتشويق وتفخيم اسم الشخصية في الاسماع والقلوب لإظهار محاسن الشخصية واشارة الى مقدرة الشاعر الفنية وغزارة الفاظه. فالشاعر ومن خلال الاسلوب البسيط والالفاظ السهلة استطاع من اقامة حوار داخلي مع نفسه جسد من خلاله السلطة السياسية للممدوح داخل النص السردي من خلال وصفه بصفات وتخصيصه بخصائص سلطوية يشعر خلالها المتلقي بتفخيم وسلطة الشخصية.

الخاتمة :

وبناءً على ما ذكر نجد انّ الحوار السردي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلطة، اما معنى السلطة فيرتبط بمعانٍ عدّة منها الشرعية والدينية، وهي الاجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية، والسلطات التربوية، والسلطات الدينية، والسلطات القضائية، وغيرها فالعلاقة بين السلطة والحوار في ادب الصابي تجسدت من خلال تصوير السلطة الدينية والسياسية فالسلطة الدينية تجسدت من خلال التمثل بالذات الالهية ومقام النبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم واهل بيته امّا السلطة السياسية فقد تجسدت من خلال التمثل بالشخصيات السياسية التاريخية ومن خلال العلاقة بين الشخصيات في النص ورعايتها.

---

١ يتيمة الدهر : ٣٢٣ – ٣٢٤.

المصادر :

١- اخلاقيات الحوار : الدكتور عبد القادر الشيخلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، ط١ ١٩٩٣ م.
٢- الحوار في شعر محمد حسن فقي دراسة تداولية، محمد بن عبدالله المشهوري، جامعة الملك سعود، ٢٠١٣ م.
٣- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي (دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية) د. محمد نظيف، افريقيا الشرق – المغرب، ٢٠١٠م.
٤- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت : ج٢.
٥- خطابات السلطة من هوبز الى فوكو، تأليف : باري هندس، تر : ميرفت ياقوت، مراجعة وتقديم : ياسر قنصوه، المشروع القومي للترجمة إشراف جابر عصفور، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط١ ٢٠٠٥ م.
٦- خطاب السلطة والخطاب المضاد، د. عبد الواسع الحميري، الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٤.
٧- السلطة الدينية، د. برهان زريق، بموافقة وزارة الاعلام السورية، ط١ : ٢٠١٦ م.
٨- ابو اسحاق الصابي درر النثر وغرر الشعر، د. قيس مغشغش السعدي، مطبعة الثقافة اربيل، العراق، ط١، ٢٠٠٩ م.
٩- الغديريات في الشعر العربي، د. حربي نعيم محمد الشبلي، الناشر العتبة العلوية المقدسة، العراق، النجف الاشرف.
١٠-منتدى التخريج ودراسة الاسانيد : ارشيف ملتقى اهل الحديث، موقع الكتروني :١.
١١-يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، ابي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ت ٤٢٩هـ، شرح وتحقيق : د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٨٣ م.
١٢-بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، د. حميد الحميداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ آب ١٩٩١ م.
١٣-رسالة ابي اسحاق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر دراسة توثيقية نقدية، زياد الزغبي، مجلة ابحاث اليرموك سلسة الآداب واللغويات، جامعة اليرموك، الاردن، المجلد ١١ العدد ١,١٩٩٣. ص ص.
١٤- الصبع : وسط العضد، وقيل العضد كلّه، حتّى الابط، واخذ بضبعه : أي أعانه وقواه.
١٥-المختار من رسائل ابي اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابي، الأمير شكيب ارسلان، الدار التقدمية، لبنان، ط١، ٢٠١٠ م.
١٦- ينظر : الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، ايمن أمين عبد الغني، دار التوفيقه للتراث، القاهرة، طبعة جديدة.
١٧-الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، الدكتورة ابتسام احمد حمدان، مراجعة وتدقيق احمد عبدالله فرهود، دار القلم العربي، سورية – حلب، ط١، ١٩٩٧م.

1- The Ethics of Dialogue: Dr. Abdul-Qader Al-Sheikhly، Dar Al-Shorouq for Publishing and Distribution، Amman - Jordan، 1st Edition 1993 AD.
2- Dialogue in the Poetry of Muhammad Hassan Faki، a Pragmatic Study، Muhammad bin Abdullah Al-Mashhouri، King Saud University، 2013 AD.
3- Dialogue and the characteristics of communicative interaction (an applied study in pragmatic linguistics) d. Mohamed Nazif، East Africa - Morocco، 2010.
4- The philosophical dictionary in Arabic، French، English and Latin terms، d. Jamil Salibia، The Lebanese Book House، Beirut: Part 2.
5- Discourses of Authority from Hobbes to Foucault، Authored by: Barry Hinds، Translator: Mervat Yaqut، Reviewed and presented by: Yasser Qansouh، The National Project for Translation، supervised by Jaber Asfour، The Supreme Council of Culture، Cairo، 1st edition 2005 AD.
6- Discourse of power and counter-discourse، d. Abd al-Wasih al-Hamiri، The Arab Expansion، Beirut - Lebanon، 1st edition، 2014.
7- Religious authority، d. Burhan Zureik، with the approval of the Syrian Ministry of Information، 1st edition: 2016 AD.
8- Abu Ishaq Al-Sabi، pearls of prose and seduction of poetry، d. Qais Mughashash Al-Saadi، Culture Press، Erbil، Iraq، 1st Edition، 2009.
9- Ghadiriyat in Arabic poetry، d. Harbi Naeem Muhammad al-Shibli، publisher، Holy Shrine of Upper Egypt، Iraq، Najaf.
10- Forum for graduation and the study of evidence: Archive of the Ahl al-Hadith Forum، website: 1.
11- An orphan of time in the virtues of the people of the era، Abu Mansour Abd al-Malik al-Tha'alabi al-Nisaburi، d. 429 AH، explanation and investigation: d. Mofeed Muhammad Qamiha، Dar Al-Kutub Al-Ilmiya، Lebanon، 1st edition، 1983 AD.
12- The structure of the narrative text from the perspective of literary criticism، d. Hamid Al-Hamidani، Arab Cultural Center for Printing، Publishing and Distribution، Beirut، August 1st Edition، 1991.
13- Abi Ishaq Al-Sabi's message on the difference between the transmitter and the poet، a documentary and critical study، Ziyad Al-Zoghbi، Yarmouk Research Journal، Literature and Linguistics Series، Yarmouk University، Jordan، Volume 11، Issue 1، 1993. p p.
14- The finger: the middle of the humerus، and it was said the whole humerus، even the armpit، and he took his hyena: meaning his help and strength.
15- Al-Mukhtar from the letters of Abi Ishaq Ibrahim bin Hilal bin Zahroun Al-Sabi، Prince Shakib Arslan، Al-Dar Al-Taqdamiyyah، Lebanon، 1st edition، 2010 AD.
16- See: Al-Kafi fi rhetoric (al-Bayan wa al-Badi' wa al-Ma'ani)، Ayman Amin Abd al-Ghani، Dar al-Tawfiqa for Heritage، Cairo، new edition.
17- The Aesthetic Foundations of Rhetorical Rhythm in the Abbasid Era، Dr. Ibtisam Ahmed Hamdan، review and audit by Ahmed Abdullah Farhoud، Dar Al-Qalam Al-Arabi، Syria - Aleppo، 1st edition، 1997 AD.